

الجهاد في شعر عصر الإسلام

بقلم الدكتور محمود حسن زيني
رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

تعريف الجهاد :

إذا ما رجعنا إلى معاجم اللغة العربية وجدنا العرب تقول : والجهد - بفتح
وضم الجيم - المشقة . ثم يحمل عليه ما يقاربه . والجهد الطاقة قال الله تعالى :
(والذين لا يجدون إلا جهدهم) . ويقال : إن المجهود اللبن الذي أخرج زُبده ،
ويذكر ابن فارس : أن ذلك لا يكون إلا بمشقة ونصب (٢) .

وفي لسان العرب (٣) : وجاهد العدو مجاهدة وجهاداً قاتله ، وجاهد في
سبيل الله . وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما « قال : قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم : لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهادٌ ونيةٌ » ، وإذا استغفرتم
فانفروا (٤)

والجهاد : محاربة الأعداء وهو المبالغة واستفراغ ما في الوسع والطاقة من قول
أو فعل . وقد قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم النية بالجهاد والمراد بذلك إخلاص
النية والأعمال لله تعالى فإن مكة بعد الفتح لم تكن دار هجرة بل صارت دار سلام
وتحتم على المسلم حينئذ أن يُخلص في جهاده وفي قتاله للكفار .

والجهاد في الشرع : بذلُ المسلم جهده في قتال الكفار جميعاً . والجهاد
الإسلامي فريضة من فرائض الإسلام فرضه الله على المسلمين ، وقد وصف الله

١ - التوبة آية ٧٩

٢ - ابن فارس : معجم مقاييس اللغة ج ٢ ص ٤٨٦ - ٤٨٧

٣ - ابن منظور : لسان العرب : مادة جهد .

٤ - البخاري : صحيح ج ٤

المسلمين بأنهم (أشداءُ على الكفار رُحماءُ بينهم) (١). وجعل الله جزاء المسلمين في الجهاد الغلبة على أعدائهم فقال تعالى : (وإنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) (٢) .

وأشار محمد بن عبد الله رسول الله إلى البشرية جمعاء صلى الله عليه وسلم إلى أن المجاهد يفوز بالرضوان بجهاده فقال صلى الله عليه وسلم : « واعلموا أنَّ الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقد عرفت الأديان السماوية جميعها لجهاد وشرعته كما ينصّ على ذلك القرآن الكريم في قول الله تبارك وتعالى :

(ولولا دفعُ الله النَّاسَ بعضهم ببعض لهُدَمَتِ سَوَاعِدُ بَيْعٍ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) (٣)

ويفسر الزمخشري هذه الآية بقوله : أي والله أعلم — فلو لا أن الله يدفع بعض الناس ببعض ويسلطُ المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة لأستولى المشركون على أهل الملل المختلفة في أزمته وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى بيعاً ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد أو لغلب المشركون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم على المسلمين وعلى أهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات الفريقين . (٤)

غير أن الجهاد كما رسمته التوراة والانجيل في صورتها الحالية جهاد فيه عنف شديد على الخصم بكل ما تحمله هذه الكلمة من ألوان الدمار والإبادة والقتل الجماعي لجميع الأعداء من شيوخ وأطفال ونساء إبرياء عزّل . ففي التوراة (العهد القديم) وفي الإصحاح السادس خاصة في قصة حصار بني إسرائيل لأريحا أن « الشعب صعد

١ - الفتح الآية ٢٩

٢ - الصافات : الآية ١٧٢

٣ - سورة الحج : آية رقم ٤٠

٤ - الزمخشري : الكشاف : ج ٢ ص ٣٥٠

إلى المدينة كل رجل مع وجهه وأخذوا المدينة ٢٤٠ : وأحرقوا المدينة بالنار مع كل ما بها .. » . وهذا ما فعله الاسرائيليون عام ١٣٨٧ هـ بأريحا نفسها وبغيرها من مدن المسلمين كدير ياسين من قبل في هذا القرن الرابع عشر الهجري .

ولاختلف صور الجهاد في العهد القديم عنها في العهد الجديد أو الإنجيل ففيه حرب بين الإنسان وأبيه وبين الأم وإبنتها . فقد ورد في إنجيل متى وفي الإصحاح العاشر منه خاصة : « ٣٥ : فإني جئت لأفرك الإنسان ضد أبيه ، والإبنة ضد أمها ... » الخ .

الجهاد الإسلامي :

أما الجهاد في الإسلام فتحثني فيه صورة القسوة والعنف على الأطفال الأبرياء والنساء العزّل والشيوخ الكبار . وقد أنكر الرسول الكريم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، قتل النساء والصبيان . ففي الحديث الشريف عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما : أن امرأة وجدت في بعض مغلزي النبي صلى الله عليه وسلم مقتولة فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم قتل النساء والصبيان . رواه الجماعة إلا النسائي .

وفرض الله الجهاد على المسلمين لمن حمل السلاح عليهم . ففي الحديث الذي يروى عن أبي موسى عبد الله بن قيس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من حمل علينا السلاح فليس منا » .

ولكن الجهاد في الإسلام مرّ بمراحل وأطوار حتى وصل إلى صورته النهائية التي فرض فيها الجهاد على المسلمين وحرّم على المسلم التقاعس والجبن في تلبية نداء الجهاد . وعلى الرغم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم عاش بمكة ثلاث عشرة سنة فإنه طيلة تلك المدة لم يؤمر بالقتال . وقد لقي الكثير من أذى المشركين . وبعد الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة أذن للمسلمين أن يقاتلوا أعداءهم من المشركين والكافرين الذين يقاتلونهم . وقد أوضح ذلك الذكر الحكيم في قول الله تبارك وتعالى : (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، وإن الله على نصرهم لقدير) (١)

ثم كانت هناك مرحلة أخرى من مراحل الجهاد الإسلامي وقد تمثلت في قول الله تعالى :

(فمن إعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ..) (١)

وفرض الجهاد على المسلمين في قتال المشركين كافة عندما أمر الله المسلمين أن يقاتلوا المشركين بقوله تعالى :

(وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن الله مع المتقين) (٢)
وفرض الجهاد كذلك عندما أمر الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم فقال :
« أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله . وأنتي رسول الله ... » .

وقد أعد الله للمجاهدين من المسلمين رفيع الدرجات فقال عز وجل :
(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل
الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى
بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ..) (٣) الخ الآية .

الرسول صلى الله عليه وسلم والجهاد :

ورغب الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أصحابه في الجهاد وحثهم عليه .
كيف لا ؟ وقد كان أول المجاهدين وشق لهم طريقاً في الجهاد سلوكه ورائه
ففاضوا برفيع الدرجات . وقد تمنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهادة وفي
صحيح البخاري ما يؤكد ذلك ففيه : « أن أبا هريرة رضي الله عنه قال : قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من
المؤمنين لا تطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن
سرية تغزو في سبيل الله ، والذي نفسي بيده لو ددت أني أقتل في سبيل الله ثم
أحيا ثم أقتل ثم أحيا ، ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل » (٤) .

١ - البقرة : الآية ١٩٤

٢ - التوبة : الآية ٣٦

٣ - التوبة : الآية ١١١

٤ - صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١

والأحاديث الصحيحة التي وردت عن النبي صلى الله عليه وسلم التي يحض فيها المسلمين على الجهاد ويرغبهم فيه كثيرة جداً . ومنها هذا الحديث الذي يرويه البخاري في صحيحه : « عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها ، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها ، والروحة يروحها العبد في سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها » (١)

وقال صلى الله عليه وسلم : « الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة » كما قال صلى الله عليه وسلم أيضاً : « الجهاد ماضٍ إلى يوم القيامة » .

وقد بين عليه الصلاة والسلام للمسلمين أن المجاهد الذي يقاتل في سبيل الله فيقتل فهو من الشهداء الخمسة الذين نصّ عليهم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الشهداء خمسة المطعون والمبطون ، والغرق ، وصاحب الهدم والشهيد في سبيل الله » (٢)

وأخبر صلى الله عليه وسلم أن المجاهد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات طلباً للكرامة في حديث يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ما أحد يدخل الجنة يُحب أن يرجع إلى الدنيا وله ما على الأرض من شيء إلا الشهيد يتمنى أن يرجع إلى الدنيا فيقتل عشر مرات لما يرى من الكرامة » (٣) .

ولكن ذلك لا يكون لمن يجاهد في غير سبيل الله ، وقد سأل رجل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل للدنكر ، والرجل يقاتل ليرى مكانه . فمن في سبيل الله ؟ قال : « من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله » (٤) .

١ - صحيح البخاري ج ٤ : ٤٣

٢ - صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٩

٣ - صحيح البخاري ج ٤ : ٢٦

٤ - صحيح البخاري ج ٤ : ٢٥

بل إن من يُكَلِّمُ في سبيل الله قد بين حاله رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ في سبيل الله ، والله أعلمُ بمن يُكَلِّمُ في سبيله ، إلا جاء يوم القيامة واللون لونُ الدَّمِ والريحُ ريحُ المسك » (١) ولم ينس صلى الله عليه وسلم أن يبين للمسلمين المجاهدين درجاتهم التي أعدها الله لهم في الجنة بل قال : « إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ، ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض : فإذا سألت الله فأسأله الفردوس فإنه أوسطُ الجنة وأعلى الجنة أراه فوقه عرشُ الرحمن ، ومنه تَفَجَّرُ أنهار الجنة » (٢) .

إن الجهاد في سبيل الله أفضل تجارة . وإن من يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله فهو من أفضل الناس . يقول الله تبارك وتعالى :
(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ . تُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . يَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلُكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (٣) .

وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يؤكد قول الله سبحانه وتعالى عن أي الناس أفضل ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مؤمن يجاهد في سبيل الله بنفسه وماله » . قالوا ثم مَنْ ؟ قال : « مؤمن في شِيعِ من الشعاب يتقي الله وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شِيعِهِ » (٤) . وسأل كذلك عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أي العمل أفضل ؟ فقال : « الصلاة على

-
- ١ - صحيح البخاري ٤-٢٣
 - ٢ - صحيح البخاري ٤ : ١٩ ، ٢٠
 - ٣ - الصنف : الآية ١٠
 - ٤ - صحيح البخاري ج ٤ ص ١٨

ميقاتها . قلت : ثم أي ؟ قال : « برُّ الوالدين » قلت : ثم أي ؟ قال : « الجهاد في سبيل الله » فسكت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزدني (١) . وحذر رسول الله صلى الله عليه وسلم القاعدين عن الجهاد وأخبر بأن الفرار من الجهاد يوم الزحف من الموبقات السبع في الحديث الذي يرويه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اجتنبوا السبع الموبقات » قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : الشُّركُ بالله ، والسَّحَرُ ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

لقد بشر الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المجاهدين من المسلمين من الصحابة أنهم سيغزون الروم والفرس فقال : « لتفتحن كنوز كسرى وقيصر » . وفي الحديث الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم » (٢) .

وحدث النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين على مواصلة الجهاد وقتال اليهود خاصة فيروى أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود ، حتى يقول الحجر وراءه اليهودي : يا مسلم هذا يهودي ورأيي فاقتله » (٣) .

الشعر والجهاد :

ولعب الشعر العربي في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم وفي الفتوحات الإسلامية دوراً كبيراً في تصوير جهاد المسلمين ضد المشركين والكافرين .

فهؤلاء صحابة رسول الله رضوان الله تعالى عليهم كانوا يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب وهم يخفرون الخندق بقولهم :
نَحْنُ الَّذِينَ بَايَعُوا مُحَمَّدًا عَلَى الْجِهَادِ مَا بَقِينَا أَبَدًا (٤)

١ - صحيح البخاري ١٧/٤

٢ - صحيح البخاري ٥١/٤

٣ - صحيح البخاري ٥١/٤

٤ - البداية والنهاية لابن كثير ٩٥/٤ ، ويروى أبييت كذلك على النحو التالي :
(ابن كثير ٩٦/٤) . نحن الذين بايعوا محمداً على الاسلام ما بقينا ابداً

لقد عبر السّعر تعبيراً صادقاً عن المفهوم الإسلامي للجهاد فإذا بالتعاليم الإسلامية عن الجهاد توضح توضيحاً كاملاً في شعر الغزوات والفتوحات الإسلامية .

فهذا بُجير بن بجرّة الطائي رضي الله عنه يقرر في بيتين من الشعر عندما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه في السرية وفيها يخبر إى صاحب تبوك أن المسلمين قد أمروا بالجهاد وأنه فريضة عليهم يقول :

تَبَارَكَ سَائِقُ الْبَقَرَاتِ إِنِّي رَأَيْتُ اللَّهَ يَهْدِي كُلَّ هَادٍ
فَمَنْ يَكُ حَائِداً عَنْ ذِي تَبُوكٍ فَإِنَّا قَدْ أَمَرْنَا بِالْجِهَادِ (١)

وأدرك شعراء المسلمين أن الجهاد تلبية النداء بالمشاركة الفعلية بالكرّ والفرّ وليس مجرد إيمان بمبدأ الجهاد واخفائه في القلوب فقط. ويتضح ذلك مما قاله بشر ابن قطبة بن سنان الفقعسي الأسدي في موقعة اليمامة :

إِذَا قَالَ سَيْفُ اللَّهِ كُرُوا عَلَيْهِمْ كَرَرْنَا وَلَمْ نَجْعَلْ وَصَاةَ الْمُعَوَّقِ (٢)
أَقُولُ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا رَقَّ بِالْهَـا رُودَكَ لَمَّا تُشَفِّقِي حِينَ تُشَفِّقِي
وَكُونِي مَعَ الرَّاعِي وَصَاةَ مُحَمَّدٍ وَإِنْ كَذَبَتْ نَفْسُ الْمُنَاقِقِ فَاصْدُقِ

ويعبر نابغة بني جعدة بعد انتهاء حروب الردّة عن وجوب الخروج إلى الجهاد في التخوم ويشعر بأن هذا الواجب واجبه وواجب كل مسلم فقد كتب الله الجهاد عليهم وفرضه عليهم فرضاً ولم يستثن منهم سوى المريض والأعمى والأعرج يقول النابغة :

بَاتَتْ تُذَكِّرُنِي بِاللَّهِ قَاعُ دُودَةٍ
يَا ابْنَةَ عَمِّي كِتَابُ اللَّهِ أَخْرَجَنِي
فَإِنْ رَجَعْتُ فَرَبُّ النَّاسِ يُرْجِعُنِي
مَا كُنْتُ أَعْرَجٌ أَوْ أَعْمَى فَيَعْدِرُنِي
وَالدَّمَعُ يَنْهَلُ مِنْ شَأْنَيْهِمَا سَبَلاً
كَرَّهًا. وَهَلْ أَمْنَعَنَّ اللَّهَ مَا فَعَلَا ؟
وَإِنْ لَحِقْتُ رَبِّي فَأَبْتَغِي بَدَلاً
أَوْ ضَارِعاً مَنْ ضَعِيَ لَمْ يَسْتَطِعْ حَوْلَا (٣)

١ - نهاية الأرب ج ١٧ ص ٣٥٧ - ط . دار الكتب ١٣٧٤ هـ - .

٢ - ابن حجر : الإصابة ج ١ ص ١٧٦ - ط . التجارية مصر ١٣٥٨ هـ

٣ - ابن قتيبة : الشعر والشعراء ص ٢١٢ - دار الثقافة -

إنَّ الجهاد أصبح الشغل الشاغل للمؤمن الحق وليس يطمع في هذه الدنيا بشيء يدخره لها . هل يدخره ليوم الآخرة والله تبارك وتعالى يقول :

(يوم لا ينفع مالٌ ولا بنونٌ إلا من أتى الله بقلب سليم) (١)
عن كل ذلك يعبر المجاهد عروة بن زيد الخيل الطائي ابن الفارس المسلم
والصحابي الجليل زيد الخيل رضي الله عنه فيقول :

وكم من عدو أشوسٍ متمرّدٍ عليه بخيلٍ في الهياج أظَلَّتْ
وكم كربة فرَجَتْها وكرِهَتْ شددتُ لها ازري إلى أن تجلَّتْ
وقد أضحت الدنيا لديّ ذميمةً وسلَّيتُ عنها النفس حتى تسلَّتْ
وأصبحَ همِّي في الجهاد ونيتي فلله نفسٌ أدبرت وتولَّتْ
فلا ثروة الدنيا تريدُ اكتسابَها أَلَا إنّها عن وفرها قد تخلَّتْ
وماذا أرجي من كنوزٍ جمعتها وهذي المنايا شرعاً قد أظَلَّتْ (٢)

صفة المجاهدين :

وقد رسمت صورة اولئك المجاهدين في الشعر الإسلامي . وتتلخص صفتهم في أنهم أشداء أقوياء على الأعداء يرون القتل مدحاً ويدودون عن ذمار رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحمونه باللسان وباليد . وقد عبر عن الصفات الحسنة للمجاهدين شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم كعب بن مالك رضي الله عنه بعد أن أظفر الله نبيه عليه الصلاة والسلام على اليهود في خيبر فقال :

ونحنُ وردنا خيبراً وفروضه بكل فتى عاري الأشاجع مِدودِ
جواد لدى الغايات لا واهن القوى جريء على الأعداء في كل مشهدِ
عظيم رماد القدر في كل شتوة ضروب ينصل المشرفي المهندِ
يرى القتل مدحاً ، أن أصاب شهادة من الله يرجوها وفوزاً (بأحمد)
يدود ويحمي عن ذمار محمد ويدفع عنه باللسان وباليدِ
وينصره في كل أمرٍ يريُّه يجود بنفسه دون نفس محمدِ
يُصدّق بالأنباء ، بالغيب مُخلصاً يريدُ بذاك الفوز والعزّ في غد (٣)

١ - سورة الشعراء : الآية ٨٨

٢ - الديفوري : الاخبار الطوال ص ١٣٨ - ط . الحلبي -

٣ - ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٣ ، ٤٢ ، ٤٠ .

وصفة هؤلاء المجاهدين كذلك أنهم يبذلون مهجات نفوسهم لأربهم وأنهم
عُصبة نصر الإله نبيه بهم وهم ممن شُغفت قلوبهم بالجهاد في سبيل الله وفي عبه
وحب رسوله صلى الله عليه وسلم ولا يعرفهم إلا من رآهم عن كتب . وهذا
كعب بن مالك رضي الله عنه يدعو من يسأل عن أولئك المجاهدين بقوله :

مَنْ سَرَّهُ ضَرْبُ يُمَعِمُ بَعْضُهُ بَعْضاً كَعَمْعَةِ الْإِنَاءِ الْمُحْرِقِ
فَلَيَاتِ مَأْسَدَةً تُسَنُّ سِوْفُهَا بَيْنَ الْمَدَّادِ وَبَيْنَ جِزْعِ الْخُنْدِ
دَرَبُوا بِضَرْبِ الْمُعَلِّمِينَ وَأَسْلَمُوا مُهْجَاتِ أَنْفُسِهِمْ لِرَبِّ الْمَشْرِقِ
فِي عُصْبَةِ نَصْرِ الْإِلَهِ نِيَّاهُ بِهِمْ ، وَكَانَ بَعْدَهُ ذَا مَرْقُوقٍ (١)
فِي كُلِّ سَابِقَةٍ تَخْطُ فُضُولُهَا كَالنَّهْيِ هَبَّتْ رِيحُهُ الْمَرْقُوقِ
بِيضَاءَ مُحْكَمَةٍ كَأَنَّ قَتِيرَهَا حَدَقُ الْجَنَادِ ذَاتِ بَشْكَ مُوثِقِ
جَدَلَاءَ يَحْفَظُهَا نَجَادُ مُهَنَّدِ صَافِي الْحَدِيدَةِ صَارِمِ ذِي رَوْنِقِ
تِلْكَمُ مَعَ التَّقْوَى تَكُونُ لِبَاسَتَا يَوْمِ النِّيَاجِ وَكُلِّ سَاعَةِ مَصْدَقِ
نَصْلُ السِّوْفِ إِذَا قَصُرْنَ بِحَطُونَا قَدُمَا وَتَلَحُّقُهَا إِذَا لَمْ تَلْحَقْ
فَتَرَى الْجَمَاجِمَ ضَاحِيَا هَامَاتُهَا بَلَّهَ الْأَكْفَ كَأَنَّهُمَا لَمْ تُخْلَقْ
وَتُعِدُّ لِلْأَعْدَاءِ كُلِّ مَقْلَصِ وَرَدٍ وَمَحْجُولِ الْقَوَائِمِ أُبْلَقِ
تَرْدَى بِفَرَسَانِ كَأَنَّ كَتَامَهُمْ عِنْدَ الْهِيَاجِ أَسْوَدُ طَلٍّ مَلْشَقِ
أَمْرُ الْإِلَهِ بِرَبْطِهَا لَعَلُّهُ فِي الْحَرْبِ إِنَّ اللَّهَ خَيْرُ مُوفِقِ
لَتَكُونَ غِيظاً لِّلْعَدُوِّ وَحِيْطاً لِّلدَّارِ إِنْ دَلَّتْ خِيُولُ النَّزْقِ

١ - ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٢٠٥ ، وابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٤ ، ١٣٥ والذبيولان تحقيق سامي العاني (بغداد سنة ١٣٨٦هـ) ص ٢٤٤ - ٢٤٧

وَيُعِينُنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ مِنْهُ وَصَدَقَ الصَّبْرُ سَاعَةً نَلْتَقِي
وَنَطِيعُ أَمْرَ نَبِيِّنَا وَنَجِيبُهُ وَإِذَا دَعَا لِكَرْهِيَةٍ لَمْ نُسَبِّحْ
وَمَتَى يَنَادِي لِلشَّدَائِدِ نَأْتِيهَا وَمَتَى نَرَى الْحَوَامِتَ فِيهَا نُعْنِقُ
مَنْ يَتَّبِعْ قَوْلَ النَّبِيِّ فَلِإِنَّا مِنْ يَبْذَاكَ يَنْصُرُنَا وَيُظْهِرُ عِزَّنَا
وَإِنَّ الدِّينَ يَكْذِبُونَ مُحَمَّدًا كَفَرُوا وَضَلُّوا عَنْ سَبِيلِ الْمُتَّقِي

إِنَّ الْمَجَاهِدِينَ الْمُسْلِمِينَ يَبِيعُونَ نَفْسَهُمْ رَخِيصَةً وَيَبِيعُونَ أَهْلَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ فِي
سَبِيلِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَهْمُهُمْ كَثْرَةُ أَعْدَائِهِمْ مَهْمَا كَانَتْ. وَهَذِهِ الْحَقِيقَةُ الَّتِي عَرَفَتْ
عَنِ الْمَجَاهِدِينَ الْأَوَّالِ فِي غَزَوَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْجُلُهَا سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ
حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي قَصِيدَةٍ تَرَوِي لَهُ فِي السِّيَرَةِ النَّبَوِيَّةِ
يَخَاطَبُ فِيهَا الْمُشْرِكِينَ فَيَقُولُ لَهُمْ :

كَأَنَّا تَبَلَّنَاهُمْ وَلَا تَبَلَّ عِنْدَنَا لَهُمْ غَيْرُ أَمْرٍ بِالْعَقَافِ وَبِالْعَدْلِ
وَأَمْرٍ بِإِسْلَامٍ فَلَا يَقْبَلُونَهُ وَيَنْزِلُ مِنْهُمْ مِثْلَ مَنْزَلَةِ الْهَزْلِ
فَمَا بَرَحُوا حَتَّى انْتَدَبْتُ لِفَارَةٍ لَهُمْ حَيْثُ حَلَّوْا أَبْتَغِي رَاحَةَ الْفَضْلِ
بَأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ أَوَّلِ خَافِقٍ عَلَيْهِ لَوَاءٌ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ مِنْ قَبْلِي
لَوَاءٌ لَدَيْهِ النَّصْرُ مِنْ ذِي كِرَامَةٍ إِلَهٍ عَزِيزٍ فِعْلُهُ أَفْضَلُ الْفِعْلِ
عَشِيَّةً سَارُوا حَاشِدِينَ وَكُلُّنَا مَرَّاجِلُهُ مِنْ غَيْظِ أَصْحَابِهِ تَغْلِي
فَلَمَّا تَرَاءَيْنَا أَنَاخُوا فَعَقَلُوا مَطَايَا وَعَقَلْنَا مَدَى غَرَضِ النَّبْلِ

١ - يقول ابن هشام : واكثر اهل العلم بالشعر ينكر هذا الشعر لحمزة رضي الله عنه «
انظر السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢ ص ٥٩٦ (ط ٠ الحلبي سنة ١٣٧٥ هـ) تحقيق المحرم
الاستاذ مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي »

فقلنا لهم : حَبَلُ الْإِلَهِ نَصِيرُنَا وَمَا لَكُمْ إِلَّا الضَّلَالَةُ مِنْ حَبَلٍ
فثار أبو جهلٍ هنالك باغياً فغاب وردَّ الله كَيْدَ أَبِي جَهْلٍ
وَمَا نَحْنُ إِلَّا فِي ثَلَاثِينَ رَاكِباً وَهُمْ مِثَالُ بَعْدٍ وَاحِدَةٍ فَضَّلِ
فِيَالْ لَوْ لَا تُطِيعُوا غَوَاةَكُمْ وَفِيئُوا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالْمَنْهَجِ السَّهْلِ
فإِنِّي أَخَافُ أَنْ يُصَبَّ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ فَتَدْعُوا بِالنَّدَامَةِ وَالْثُكْلِ (١)

أمنيته

كان المجاهد الحق يتمنى ألا يعود إلى أهله ودياره بل يتمنى ملاقة ربه .
ويُضْرَبُ المثلُ في هذا الصَّدِّدِ بِجِهَادِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الصَّحَابِيُّ
الْحَيْلِ وَشَاعِرِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَطَمًا تَمَنَّى مِنْ رَاحِلَتِهِ أَنْ تَوْصِلَهُ إِلَى
مَيْدَانِ الْمَعْرَكَةِ مِيدَانِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ تَنْعَمَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمَا تَمَنَّى لِأَنَّهُ تَمَنَّى عَلَى
اللَّهِ أَنْ يَكْتُبَ لَهُ الشَّهَادَةَ وَالْأَلَا يَعِيدُهُ إِلَى أَهْلِهِ وَذَوِيهِ . يَقُولُ ابْنُ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُ مُخَاطَباً نَاقَتَهُ وَهُوَ يَسِيرُ فِي إِحْدَى اللَّيَالِي مُتَجَهِّاً إِلَى مَوْتَةٍ تَلْبِيَةً لِأَمْرِ الرَّسُولِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ اخْتِيَارِهِ لِيَكُونَ ثَالِثَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْأُمَرَاءِ لِحَيْشِ الْمُسْلِمِينَ فِي مَوْتَةٍ
يَعِدُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ :

إِذَا أَدَيْتَنِي وَحَمَلْتَ رَحْلِي مَسِيرَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ الْحِسَاءِ
فَشَأْنُكَ أَنْعُمٌ وَخَلَائِكَ ذَمٌّ وَلَا أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي وَرَائِي
وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ وَغَادَرُونِي بِأَرْضِ الشَّامِ مُشْتَهِي الثَّوَاءِ
وَرَدَّكَ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيبٍ إِلَى الرَّحْمَنِ مُنْقَطِعَ الْإِخَاءِ
هَنَالِكَ لَا أَبَالِي طَلَعَ بَعْلٌ وَلَا تَخْلُ أَسَافِلُهَا رَوَاءَ (٢)

وبروى أن زيد بن أرقم الذي كان يتيماً في حجر ابن رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

١ - ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٥٩٦ (ط . مطبوع سنة ١٣٧٥ هـ)
٢ - ابن هشام : السيرة النبوية ج ٣ ص ٤٣٢

لما سمع تلك الأبيات بكى فضربه ابن رواحة بالسوط وقال له : « ماعليك بالكعب
أن يرزقي الله شهادة وترجع بين شعبي الرّحل » (١)

بل يلاحظ أن المجاهدين المسلمين قد اقتفوا أثر الرسول صلى الله عليه وسلم
الذي تمنى كثيراً أن يفوز بالشهادة كما يؤكد ذلك الحديث الشريف الذي يرويه
البخاري في صحيحه (٢) الذي سبقت الإشارة إليه .

وقد تمنى كثير من المجاهدين الأوائل من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أن
يفوزوا بالشهادة في ميدان الجهاد . وقد عبروا عن صدق نيتهم في شعرهم .
فقد سأل كعب بن مالك رضي الله عنه الله أن يكتب له الشهادة في بيته هذا :

يَرَى الْقَتْلَ مَدْحًا أَنْ أَصَابَ شَهَادَةً مِنْ اللَّهِ يَرْجُوهَا وَفُوزًا بِأَحْمَدِ (٣)

وتمنى كذلك رفيقه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه الشهادة وكان قد بكى يوم
ودّعه المسلمون قبل سفره إلى مؤتة فقالوا له : « ما يُبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال :
أما والله ما بي حُبُّ الدُّنْيَا ، ولا صَبَابَةٌ بِكُمْ ، ولكني سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل يذكر فيها النار : (وَإِنْ مِنْكُمْ لَآءٌ
وَارْدَهَا كَانَ عَلَى رِبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) ، فلست أدري بالصّدْرِ بعد الوُرُودِ . فقال
المسلمون : صَحِبَكُمْ اللَّهُ وَدَفَعَ عَنْكُمْ ، وردّكم إلينا صالحين ، فقال عبد الله
ابن رواحة :

لَكُنِّي أَسْأَلُ الرَّحْمَنَ مَغْفِرَةً وَضَرْبَةً نَذَاتَ فَرْنٍ تَقْدَفُ الزَّبَدَا
أَوْ طَعْنَةً بِيَدِي حَرَّانَ مُجْهَزَةً بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الْأَحْشَاءَ وَالْكَيْدَا
حَتَّى يُقَالَ إِذَا مَرُّوا عَلَى جَدَّتِي أَرْشَدَهُ اللَّهُ مِنْ غَايٍ وَقَدْ رَشَدَا (٤)
فواضح أن هذا الصحابي الجليل لم يطلب من الله جلّت قدرته مزيداً من الحياة

١ - السيرة ٣ - ٤٣٢ (التجارية)

٢ - صحيح البخاري ج ٤ ص ٢١

٣ - ابن هشام : السيرة ٣ - ٤٠٣

٤ - ابن هشام ج ٣ ص ٢٨٨ (التجارية)

ومن نعيمها بل طلب شيئاً يحرض المسلمون المجاهدون دائماً على طلبه وهو مغفرة الله تعالى كما طلب ضرته يسيل فيها دمه حتى لا يبقى منه شيء ، ولم يكتف بذلك بل إنه قد طلب كذلك طعنة قاضية سريعة مجهزة تنفذ من بين أحشائه وكبدته . ولم يطلب ذلك المجاهد الحق كل ذلك إلا رجاء لما عند الله من نوال وللغور بالرضوان . وهو في ذلك كله يختلف عن أعدائه من المشركين والكافرين الذين كانوا يتاجرون بالحروب طمعاً لشهرة أو للفوز بمنزلة رفيعة بين أفراد القبيلة أو ما أشبه ذلك ، وشتان ما بين الأمرين . وكان حسان بن ثابت رضي الله عنه يلتمس في دفاعه عن الإسلام والمسلمين وعن النبي الأمين محمد صلى الله عليه وسلم الجزء من الله تبارك وتعالى كما يتمثل ذلك في قوله :

هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ

فلأول مرة في شعر حسان الإسلامي لا يطلب حسان جزاءً من أحد بل يطلبه من الله مباشرة . وهذا شيء جديد في شعر حسان وفي مديحه . وقد اعترض البعض على التماس حسان هذا : « وكان حربياً به ألا ينتظر جزاء مادام يدافع عن عقيدة حارة هي عقيدته ، ورسول أعز عليه من نفسه » (١) ومن ثم لم يره هذا الباحث موفقاً ههنا . ولكني أراه قد وفق إلى ذلك ومن أجل ذلك أجابه النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً له : « جزاؤك عند الله الجنة يا حسان » فلما قال :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قال له : « وقال الله حر النار » . ويعلق ابن رشيق القيرواني على ذلك الخبر بقوله : ففضى له بالجنة مرتين في ساعة واحدة وسبب ذلك شعره . (٢)

كان المجاهدون المسلمون يجاهدون بأرواحهم إماماً لطلب فوز بارد يثلج صدورهم أو لطلب الشهادة التي تورثهم جنة الفردوس في الحياة الآخرة . وهذا

١ - د . محمد نبيه حجاب : روائع الأدب في عصور العربية الزاهرة ص ١٤
٢ - ابن رشيق القيرواني : العمدة في محاسن الشعر وادبائه ونظمه ج ١ ص ٥٣

ما تمناه ابن من أبناء الخنساء الأربعة الشهداء قبل استشهاده في القادسية فقال :

فبادروا الحربَ كُمَاةً في العُدَدِ

إمّا بفَوْزٍ بَارِدٍ عَلَى الْكَبِيدِ

أَوْ مَيِّتَةٍ تُورِثُكُمْ غَنَمَ الْآبِدِ

فِي جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ وَالْعَيْشِ الرَّغْدِ (١)

وكان قواد المسلمين يحثون جنودهم على المضي قدماً في الجهاد طلباً للفوز والنجاح والنصر الذي وعده الله لعباده المؤمنين المخلصين . وهذا نداء يوجهه سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه لإخوانه المجاهدين في سبيل الله :

هُبُّوا جَمِيعَ ، إِخْوَتِي ، أَرْوَاحَا

نَحْنُ الْعَدُوَّ نَبْتَغِي الْكِفَاحَا

نَرْجُو بِذَلِكَ الْفَوْزَ وَالنَّجَاحَا

إِذَا بَدَلْنَا دُونَهُ أَرْوَاحَا

وَيَرْزُقُ اللَّهُ لَنَا صَلاَحَا

فِي نَصْرِنَا الْعُدُوَّ وَالرَّوَاحَا (٢)

ومن أروع صور الجهاد الإسلامي جهاد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقد ضربوا المثل الأعلى في التضحية والفداء وبذل النفس رخيصة في سبيل الله . وكانوا يضربون الضربة تلو الضربة بشجاعة وبسالة لا نظير لهما . وشهداء مؤتة كانوا مثلاً من الأمثلة الكثيرة في بطولات المسلمين الفذة .

ويروى ابن إسحاق أن الناس اقتتلوا - في ذلك اليوم - فقاتل زيد بن حارثة رضي الله عنه - براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم .

١ - معاهد التنصيص ج ١ ، ٣٥٤ ،

٢ - فتوح الشام : ج ١ ص ١٥٧ ، ١٥٨ ،

ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء ففقرها ثم قاتل القوم حتى قتل (١) . ويذكر ابن هشام عن بعض أهل العلم « أن جعفر بن أبي طالب - رضي الله عنه - أخذ اللواء يمينه فقطعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قُتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فأثابه الله بذلك جناحين في الجنة يطير بهما حيث يشاء (٢) . وقبل أن يموت رضي الله عنه رجز هذه الأبيات التي تروى كتب المغازي والسير فقال :

يَا حَبَدَا الْجَنَّةُ واقْتِرَابُهَا طَيِّبَةٌ وِبَارِدًا شَرَابُهَا
وَالرُّومُ رُومٌ قَدْ دَنَا عَذَابُهَا كَافِرَةٌ بَعِيدَةٌ أَنْسَابُهَا
عَلَيَّ إِذْ لَاقَيْتُهَا ضَرَابُهَا (٣)

بطولاتهم :

ويرسم الشعر صور البطولة والفداء للمجاهدين المسلمين الذين كانوا ينفذون أوامر قائدهم الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم في صدق وأمانة وبشجاعة وبسالة . ويرسم هذا الصحابي الجليل عبّاد بن بشر وقش بن زغبة بن زعوراء بن عبد الأشهل (٤) الأشهلي الأنصاري خطة ما أمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم للخلاص من كعب بن الأشرف اليهودي الشرير ، فيقول :

صَرَخْتُ بِهِ فَلَمْ يَعْزُضْ لَصَوْتِي وَوَافَى طَالِعًا مِنْ رَأْسِ جَدْرٍ
فَعُدْتُ لَهُ فَقَالَ : مَنْ الْمُتَنَادِي؟ قُلْتُ : أَخُوكَ عَبَّادُ بْنُ بَشَرَ
وَهَبْزِي دَرْعُنَا رَهْنًا فَخُذْهَا لِشَهْرٍ إِنْ وَفَى أَوْ نِصْفَ شَهْرٍ
فَقَالَ : مَعَاشِرُ سَبِّغُوا وَجَاعُوا . وَمَا عَدَلُوا الْغَنَى مِنْ غَيْرِ فَقَرِ
فَأَقْبَلَ نَحُونَا يَهْوِي سَرِيعًا وَقَالَ لَنَا : لَقَدْ جِئْتُمْ بِأَمْرِ

١ - السيرة النبوية : ٣ : ٤٣٣

٢ - السيرة : ٣ : ٤٣٤

٣ - ابن هشام : السيرة : ٣ : ٤٣٤

٤ - انظر ترجمته في الاستيعاب لابن عبد البر ج ٢ ص ٨٠١ (ط ٠ نهضة مصر)

وَفِي أَيْمَانِنَا بَيْضٌ جِدَادٌ مَجْرَدَةٌ بِهَا الْكَفَارُ نَفَرِي
فَعَانَقَهُ ابْنُ مَسْلَمَةَ الْمُرْدَى بِهِ الْكَفَارُ كَاللَّيْلِ الْهَزْبَرِي
وَشَدَّ بَسِيْفِهِ صَلْتاً عَلَيْهِ فَقَطَّرَهُ أَبُو عَيْسَى بْنُ جَبْرِ
وَجَاءَ بِرَأْسِهِ نَفَرٌ كِرَامٌ هُمْ نَاهِيكَ مِنْ صِدْقٍ وَبَرٍ
فَكَانَ اللَّهُ سَادِسَتَا فِائِنَا بِأَنْعَمِ نِعْمَةٍ وَأَعَزِّ نَصْرِ (١)

وتلبية لنداء الله عز وجل وأوامره حيث قال تعالى : (وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين) (٢) ، وتحقيقاً لما قال الله جل وعز ولما وصف به المجاهدين المؤمنين بأنهم كما قال سبحانه : (أشدأءُ على الكفار رحماء بينهم) (٣) نرى المجاهد المسلم ضرار بن الأزور يتحدى الروم بعدما أسروه بأنهم لم يفلحوا في صنيعهم هذا وأنه سيعود لقتالهم وأن المسلمين سيقاتلونهم كافة يقول ضرار :

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُوَلَايَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ مُفَرَّجٌ أَحْزَانِي وَغَمِّي وَكُرْبَتِي
فَقَدْ نِلْتُ مَا أَرْجُوهُ مِنْ كُلِّ رَاحَةٍ وَجَمَعْتُ شَمْلِي ثُمَّ أَبْرَأْتُ عَلَيَّ
بِأُفْقِي كِلَابِ الرُّومِ فِي كُلِّ مَعْرَكٍ وَذَلِكَ ، وَالرَّحْمَنُ أَكْبَرُ هِمَّتِي
فِيَاوِيلَ كَلْبِ الرُّومِ إِنْ ظَفَرْتُ بِي بِهِ سَوْفَ أَصْلِيهِ الْحُسَامُ بِنِقْمَتِي (٤)
وَأَتْرَكُهُمْ قَتْلَى جَمِيعاً عَلَى الثَّرَى كَمَا رِمَتْ فِي الْأَرْضِ مِنْ عِظْمِ ضَرْبَتِي
وَيَسْمِي الْمَقْدَادُ بْنُ الْأَسْوَدِ أَعْدَاءَهُ بِأَنْهُمْ عُبَادُ الصَّلِيبِ وَلِهَذَا أَمَرَ وَقَوْمَهُ
بِقِتَالِهِمْ جَمِيعاً يَقُولُ :
أَنَا الْفَارِسُ الْمَشْهُورُ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ وَنَاصِرُ دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

١ - ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٢ ص ٨٥٣

٢ - التوبة : ٣٦

٣ - الفتح : ٢٩

٤ - فتوح لشام : ج ٢ ص ٢٣٢

لَعَلَّ نَسَالَ الْقَوَزَ عِنْدَ الْهِنَا فَيَا فَوْزَ مَنْ أَضْحَى نَزِيلَ الْمُؤَيَّدِ
وَنَقْتَلُ عِبَادَ الصَّلِيبِ جَمِيعَهُمْ بِأَسْمَرِ خَطِيٍّ وَعُضْبٍ مُهَنَّدِ (١)

ويقرر المجاهدون المسلمون أن جهادهم للذود عن دين الله ونصرة دينه ونبية ولهذا حق لهم أن يطلبوا نصر الله العلي القدير في جهادهم . ويعبر عن هذا كعب بن مالك رضي الله عنه في غزوة الخندق يوم هُزم الأحزاب ونصر الله المسلمين فيقول :

لَقَدْ عَلِمَ الْأَحْزَابُ حِينَ تَأَلَّبُوا عَلَيْنَا وَرَامُوا دِينَنَا مَانُوداً
أَضَامِيمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عِيلَانَ أَصْفَقَتْ وَخِنْدَفُ لَمْ يَدْرُوا بِمَا هُوَ وَاقِعُ
يَكْدُودُنَا عَنْ دِينِنَا وَتَدْوُدُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ وَالرَّحْمَنِ رَاءِ وَسَامِعُ
إِذَا غَايَظُونَا فِي مَقَامٍ أَعَانَا عَلَى غَيْظِهِمْ نَصْرُ مِنَ اللَّهِ وَاسِعُ
وَذَلِكَ حِفْظُ اللَّهِ فِينَا وَفَضْلُهُ عَلَيْنَا وَمَنْ لَمْ يَحْفَظِ اللَّهَ ضَائِعُ
هَبَانَا لِدَيْنِ الْحَقِّ وَاخْتَارَهُ لَنَا وَلِلَّهِ فَوْقَ الصَّانِعِينَ صَانِعُ (٢)

ومن أجل هذا الجهاد كان المسلمون يستصغرون كل أمر مجحف في سبيل الدين الاسلامي ويتفتنون في إظهار صور البطولة والفداء في هذا الجهاد . وكانت للمسلمين مواقف فدائية ضد العدو وخاصة اليهود الذين كانوا ولا يزالون شديدي العداوة للمسلمين كما وضّح ذلك القرآن الكريم وبصرنا به في قوله تعالى :

(لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ..) الخ (٣)
ومن أولئك كان سلامُ ابْنِ أَبِي الْحَقِيقِ وكعب بن الأشرف وقد نجح

١ - نفس المصدر ج ٢ ص ٢٥٣

٢ - ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٥ وصوابه صنائع أي قهرات .

٣ - سورة المائدة : الآية ٨٢

المسلمون في اغتيالهما في عملية فدائية جهادية . ويشير إلى ذلك حسان بن ثابت رضي الله عنه فيقول :

لِلّهِ دَرُّ عَصَابَةٍ لَا قَيْتَهُمْ يَا ابْنَ الْحَقِيقِ وَأَنْتَ يَا ابْنَ الْأَشْرَفِ
يَسْرُونَ بِالْبَيْضِ الْخَفَافِ إِلَيْكُمْ نظراً كأَسَدٍ فِي عَرِينٍ مُغْرِفِ
مُسْتَبْصِرِينَ لِنَصْرِ دِينِ نَبِيِّهِمْ مُسْتَضْغِرِينَ لِكُلِّ أَمْرٍ مُجْنَحِفِ (١)

وتردّد في أشعار المجاهدين المسلمين الأوائل فكرة عدم الخوف من الموت وعدم المبالاة به ، وخير الموت أن يموت المسلم في ساحة الجهاد . ومن الأمثلة على ذلك ما نجده في الشعر المنسوب لخالد بن الوليد أحد أبطال وقواد المسلمين المجاهدين رضي الله عنه . يقول خالد :

الْيَوْمَ يَوْمٌ فَازَ فِيهِ مَنْ صَدَقَ
لَا أَرْهَبُ الْمَوْتَ إِذَا الْمَوْتُ طَرَقَ
لَا زَوَيْنَ الرُّمَحَ مِنْ ذَوِي الْحَدَقِ
لَا هَتِكَنَ الْبَيْضَ هَتِكَا وَالْوَرَقِ
عَسَى أَرَى غَدَاً مَقَامَ مَنْ صَدَقَ
فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ ، وَأَلْقَى مَنْ سَبَقَ (٢)

نضالهم :

وفي ضوء ذلك يمكن أن تفسر عملياتهم الحربية ونضالهم الباسل فلا يدخرون وسعاً في نضالهم الأعداء وهم يجاهدونهم باللسان وباليد وبكل ما تملكه الجوارح من قوة .

١ - نبيوان حسان بن ثابت الانصاري الخزرجي : شرح محمد البعنانى (م - السعادة مصر ١٣٣١ هـ) ص ٢٢ وانظر : البداية والنهاية لابن كثير ج ٤٠ ص ٨٤ ، ١٣٨
٢ - الواقدي : فتوح الشام ج ١ ص ٤٠ ، ٤١ - المكتبة الاهلية بيروت سنة ٦٦ م

وتبدو تلك الصورة واضحة في قول عبد الله بن أنيس الجهني في قتله خالد ابن سفيان بن نبيح الهذلي :

أَقُولُ لَهُ وَالسَّيْفُ يَعْجَمُ رَأْسَهُ انا ابن أنيس فارسٌ غَيْرُ قُعْدُدٍ
أنا ابن الذي لم يُتَزَلِ الدَّهْرَ قِدْرَهُ رحيبُ فِئَاءِ الدارِ غَيْرُ مَزْنَدٍ
وَقُلْتُ لَهُ : خُذْهَا بِضَرْبَةِ مَا جِدِ خَفِيفٌ عَلَى دِينِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَكُنْتُ إِذَا هُمْ النَّبِيُّ بِكَافِرٍ سَبَقْتُ إِلَيْهِ بِاللِّسَانِ وَبِالْيَدِ (١)

وتراهم يركضون إلى الله يغير زاد غير تقوى الله والخوف منه ورجاء ما عنده من نعيم مقيم في الدار الآخرة كما فعل ذلك أول شهيد من شهداء بدر من الأنصار في الإسلام وهو : عُمير بن الحُمَام بن الجموح بن زيد بن حرام السلمي الأنصاري كما يتضح ذلك في شعره إذ يقول :

رَكَضًا إِلَى اللَّهِ يَغْيِرُ زَادَ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلُ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرُ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ (٢)

وكان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يزجون بأنفسهم في أول الصفوف في منازل ومقارعة خصوم الإسلام . ومنهم أبو دُجَانة - سِمَاك بن خَرْشَةَ - الصحابي الجليل رضي الله عنه عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه في أحد : « مَنْ يَأْخُذْ هَذَا السَّيْفَ بِحَقِّهِ ؟ » فقام إليه رجال فأمسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم حتى قام إليه أبو دُجَانة سِمَاك بن خَرْشَةَ أخو بني ساعدة ، فقال : وما حقُّه يا رسول الله ؟ قال : « أَنْ تَضْرِبَ بِهِ الْعَدُوَّ حَتَّى يَنْخَبِ » قال : أنا آخذه يا رسول الله بحقه ، فأعطاه إِيَّاه ، وكان أبو دُجَانة رجلاً

١ - ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ١٤١

٢ - ابن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ج ٣ ص ١٢١٤

شجاعاً يختال عند الحرب إذا كانت ، وكان إذا علم بعصاة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل .

فلما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، ثم جعل يتبخر بين الصقيين (١) وقاتل أبو دُجانة في أحد حتى أمعن في الناس على حدّ تعبير ابن اسحاق (٢) . وأخذ يقول وهو في طريقه إلى الميدان :

أَنَا الَّذِي عَاهَدَنِي خَلِيْلِي وَتَحَنُّ بِالسَّفْحِ لَدَى النَّخِيلِ (٣)
أَنْ لَا أَقُومَ الدَّهْرَ فِي الْكَيْوَلِ (٤) أَضْرَبُ بِسَيْفِ اللَّهِ وَالرَّسُولِ
وواضح من البيت الأخير أن أبا دجانة آلى على نفسه ألا يكون في الصفوف الأخيرة في ميدان الجهاد بل يقذف بنفسه في الصفوف الأمامية وفي أولها خاصة يضرب بسيف الله وسيف رسوله مدافعاً عن الدين الحنيف .

وهؤلاء الذين كانوا يقذفون بأنفسهم وأرواحهم في أوائل الصفوف جهاداً في سبيل الله كانت نفوسهم تغلي غيظاً من أولئك الكفرة والمشركين . وكانوا يردون على خصومهم تهديداتهم بإسلوب فيه اعتداد بالنفس وإيمان قوي بنصر الله للمسلمين فلا تخيفهم تلك التهديدات بل تراهم يُنذِرُون أعداءهم وبزمجرون ويتوعدون خصومهم بقاء يعزُّ الله فيه عباده المؤمنين الموحدّين . ويصور هذا الشعرُ الذي ينسب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه انظر إليه يقول :

تَرَى مِنْ قَرِيشٍ فِرْقَةً لَا يَصُدُّهَا عَنْ الْكُفْرِ تَذَكِيرٌ وَلَا بَعَثُ بَاعَثَ
رَسُولٌ أَتَاهُمْ صَادِقٌ فَتَكْذَبُوبُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا : لَسْتُ فِينَا بِمَآكِثَ
إِذَا مَا دَعَوْنَاهُمْ إِلَى الْحَقِّ أَدْبَرُوا وَهَرَّوْا هَرِيرَ الْمُحْجِرَاتِ اللَّوَاهِثِ

١ - ابن هشام : السيرة ج ٣ ص ١١

٢ - السيرة ٣ : ١٣

٣ - السيرة ٣ : ١٣ ، ١٤ والبدائية لابن كثير ٤ ص ١٦

٤ - الكيول والكيول أي آخر الصفوف في ميدان المعركة

فَإِنْ يَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ وَعَقُوبَهُمْ
وَلَنْ يَرْكَبُوا طُغْيَانَهُمْ وَضَلَالَتَهُمْ
فَأُولَئِكَ بَابُ الرَّاقِصَاتِ إِلَى مَنْى
لَنْ لَمْ يُصِيقُوا عَاجِلًا مِنْ ضَلَالَتِهِمْ
لَتَبْتَذِرَنَّهُمْ غَارَةً ذَاتُ مَصْدِيَةٍ
فَأَبْلُغْ بَنِي سَهْمٍ لَدَيْكَ رِسَالَةً
وَكُلَّ كَفُورٍ يَبْتَغِي الشَّرَّ بَاحِثًا (١)

ومثل هذا الشعر القوي الإسلامي شعر حسان بن ثابت رضي الله عنه الذي يتوعد فيه المشركين ويبشّرُ به المؤمنين بنصر الله لهم في فتح مكة يقول حسان .

عَدَمْنَا خَيْلَنَا إِنْ لَمْ تَرَوْهَا
يُبَارِينَ الْأَعْنَةَ مُصْعِدَاتٍ
تَظَلُّ جِيَادُنَا مَتَمَطَّرَاتٍ
فَلِمَا تُعْرَضُوا عَنَّا اعْتَمِرْنَا
وَلَا فَاصْبِرُوا لِحِلَادِ يَوْمٍ
وَجَبْرِيلُ رَسُولُ اللَّهِ فِينَا
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ أُرْسِلْتُ عَبْدًا
شَهِدْتُ بِهِ فَقُومُوا صِدْقِيَّوْهُ
وَقَالَ اللَّهُ قَدْ سِيرْتُ جُنْدًا
لَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ مَعَدٍّ
فَنَحْكُمُ بِالْقَوَافِي مَنْ هَجَانَا

تُثِيرُ النَّقْعَ مَوْعِدُهَا كِدَاءُ
عَلَى أَكْتَافِهَا الْأَسْلُ الظَّمَاءُ
تُلَطِّمُهُنَّ بِالْحُمُرِ النَّسَاءُ
وَكَانَ الْفَتْحُ وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ
يَعُزُّ اللَّهُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ
وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ
يَقُولُ الْحَقُّ إِنْ نَفَعَ الْبِلَادُ
قَقْلَتُمْ : لَا نَقُومُ وَلَا نَشَاءُ
هُمْ الْأَنْصَارُ عُرْضَتَهَا اللَّقَاءُ
سِيَابُ أَوْ قِتَالُ أَوْ هِجَاءُ
وَنَضْرِبُ حِينَ تَخْتَلِطُ الدَّمَاءُ

أَلَا أبلغُ أبا سُفيانَ عَنِّي
 بأنَّ سيفونا تركنُكَ عَبْدًا
 هجوتَ محمداً فأجبتُ عنه
 أتَهجوهُ ولست له بكُفٍّ
 هجوتَ مباركاً برّاً حنيفاً
 فمن يهجو رسولَ الله منكم
 فإنَّ أبِي ووالده وعِرْضي
 فإِما تَتَقَفَنَ بنو لُؤيٍّ
 أولُكَ مَعَشَرٌ نَصَرُوا عَلينا
 وحِلْفُ الحَرِثِ بنِ أَبِي ضَرارٍ
 لسانِي صارمٌ لا عيبَ فيه

ويهدد علي بن أبي طالب رضي الله عنه المشركين في غزوة الأحزاب بأنهم
 ستصرعهم سيفوف المسلمين . يقول عليه السلام مخاطباً القرشيين المشركين :

فأصبحَ أحمدُ فينا عَزيزاً
 فيا أَيُّها الموعِدوه سِفاهاً
 أَلَسْتُمْ تَخافُونَ أَذَنِي العَدَا
 وأنْ تُصرَعُوا تحتَ أسيافِهِ
 غداةَ رَأى اللهُ طُغيانَهُ
 فأنزَلَ جبريلَ في قَتْلِهِ
 عزيزَ المقامَةِ والمَوقِفِ
 ولم يأت جوراً ولم يَعتُفِ
 بَ وما آمِنُ اللهُ كالأخوفِ
 كَمَضَرعِ كَعْبِ أَبِي الأشرَفِ
 وأَعرَضَ كالحِملِ الأَجَنَفِ
 بوحيٍ إلى عبدِهِ مُلْطِيفِ

فَدَسَّ الرَّسُولُ رُسُولًا لَهُ بِأَيْضِ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفٍ (١)
فَبَاتَ عِيُونٌ لَهُ مُعْجَلَاتٌ مَتَى يُنْعَ كَمَبٌ لَهَا تَذَرْفُ

وتحقيقاً لما قاله الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم : « لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية » ، وإذا استنفرتم فأنفروا « (٢) أخذ المجاهدون المسلمون على عاتقهم دائماً تلبية نداء الجهاد في سبيل الله . وهذا عامر بن الأكوع الأنصاري رضي الله عنه الذي استشهد يوم حنين بعد أن لبى نداء الجهاد مع إخوانه المسلمين المجاهدين في غزوة تبوك يلي طلب الرسول صلى الله عليه وسلم عندما قال له : « إنزل يا ابن الأكوع فخذ لنا من هتاتك .. »
فبرئجز هذه الآيات :

وَالله لَوْلَا اللهُ مَا أَهْتَدَيْنَا
وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا
إِنَّا إِذَا قَوْمٌ بَغَوْا عَلَيْنَا
وَلَوْ أَرَادُوا فِتْنَةً أَبَيْنَا
إِنَّا إِذَا صِيحَ بِنَا أَتَيْنَا
وَبالصَّيَاحِ عَوَّلُوا عَلَيْنَا
وَنَحْنُ عَنْ فَضْلِكَ مَا أَسْتَغْنَيْنَا
فَأَنْزَلْنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا
وَتَبَّتْ الْأَقْدَامُ إِنَّ لَاقَيْنَا
فَأَغْفِرْ ، فِدَاءٌ لَكَ مَا أَبْقَيْنَا (٣)

١ - ابن كثير : البداية والنهاية ج ٤ ص ٧٨-٧٩ . هذه القصيدة ينسبها ابن اسحاق لعلي رضي الله عنه .
أما ابن هشام فيقول : قالها رجل من المسلمين ولم أر أحدا يعزفها لعلي رضي الله عنه - البداية ٧٨/٤
٢ - صحيح البخاري ج ٤
٣ - البداية والنهاية لابن كثير ج ٤ ص ١٨٢ ، ١٨٣ ، وانظر السيرة النبوية لابن هشام الجزء الثاني

إن إيمان المسلمين بالجهاد وأنه فريضة من فرائض الإسلام جعلهم يؤمنون بوجود تلبية النداء وشرعيته بل إن ذلك كان حافزاً لهم للتسابق في التلبية وكانوا يرون في تلبية نداء الجهاد شفاءً لما في نفوسهم من ظمأ للقاء الأعداء على كثرة عددهم وعنادهم . ومن ثم أخذوا ينظرون للقاعدين عن الجهاد بأنهم أقلُّ منهم في الإيمان وأنه لا يجوز التقاعس عن نصرته المسلمين أبداً في نضالهم ضدّ الشرك والكفر . وخير شاهد على ذلك ما يؤكده الصحابي الجليل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما فيما ينسب إليه من شعر بأنه كإخوانه المجاهدين لا يثنى عن لقاء الأعداء مهما كان عددهم . يقول رضي الله عنه وبيده الراية :

وَحَقٌّ مَنْ أَنْزَلَ الْآيَاتِ فِي السُّورِ وَأَرْسَلَ الْمُصْطَفَى الْمَبْعُوثَ مِنْ مُضَرَ
لَأَنْتَنِي عَنْ لِقَاءِ الْأَعْدَاءِ وَلَتَوْجُمِعَتْ حُمَاةُ أَبْطَالِهِمْ يَوْمًا كَمَا الدَّبَرُ
حَتَّى أُبِيدَهُمْ ضَرْبًا وَأَتْرَكَهُمْ فَوْقَ الثَّرَى خُمُشًا مَخْدُوشَةَ الصَّدْرِ
بِكُلِّ قِرْمٍ هُمَامٍ مَاجِدٍ نَجِدٍ إِلَى الْوَقَائِعِ يَوْمَ الْحَرْبِ مُبْتَدِرُ
نَحْنُ الْكَرَامُ الَّذِي لِلدِّينِ أَرْسَلْنَا إِمَامَ دِينِ الْوَرَى غِيثُ النَّدَا عُمَرُ (١)

ومما هو جدير بالذكر أن شعور المجاهدين تجاه واجبه المديني المقدس في الجهاد لا يقف عند حدّ . فتراهم لا ينتظرون داعي الجهاد حتى يناديهم بل إنهم يقفون دائماً على أهبة الاستعداد إذا استنفروا أو لم يستنفروا . وأكثر من هذا يلاحظ على أولئك المجاهدين المناضلين أنهم كانوا يستنفرون التواذ ويدعونهم لاستنفار جميع أفراد المجتمع الإسلامي . وهنا نذكر موقف المتداد بن عمرو رضي الله عنه أحد المجاهدين الأوائل الذي أكدّ للنبي صلى الله عليه وسلم عزيمته وعزيمة المسلمين واستعدادهم للجهاد ضدّ المشركين وتشوقهم للقاء أعدائهم المشركين في مكان يعزّ الله فيه من يشاء من عباده المؤمنين في بدر الكبرى .

ويروى أن المقداد بن عمرو قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : « يارسول الله !
 امض لما أمرك الله فنحن معك ، لأنقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى :
 (اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ) ولكن نقول لك :
 اذهب أنت وربك فقاتلا إِنَّا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا
 إلى برك الغماد (١) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه ، فقال له النبي صلى الله
 عليه وسلم خيراً ودعا له به (٢) .

وهذا الموقف الجليل من المقداد جعل ابن مسعود رضي الله عنه يقدره حقاً
 قدره وتنى أن يكون صاحب ذلك الموقف . ففي الحديث الصحيح « عن طارق بن
 شهاب قال : سمعت ابن مسعود يقول : شهدت من المقداد بن الأسود مشهداً
 لأن أكون صاحبه أحب إلي مما عدل به . أتى النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو يدعو على المشركين فقال : لأنقول لك كما قال قوم موسى اذهب أنت
 وربك فقاتلا ، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ،
 فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم أشرق وجهه وسره يعني قوله » (٣) .

وهذا عمرو بن سالم - أو سليم الخزاعي - يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم
 مستنصراً به وطالبا منه إعلان الجهاد على المشركين من قريش الذي تقضوا عهد
 الله وعهد رسوله فأغاروا على حي من خزاعة يقال لهم بنو كعب فقتلوا فيهم
 وأخذوا أموالهم فقال مستنصراً برسول الله صلى الله عليه وسلم :

يَارَبُّ إِنِّي نَاشِدُ مُحَمَّدًا حِلْفَ آبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا
 قَدْ كُنْتُمْ وَلَدًا ، وَكُنَّا وَالِدًا ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا فَلَمْ نَنْزَعْ يَدَا
 فَأَنْصُرْ هَذَاكَ اللَّهُ نَصْرًا أَعْتَدَا وَأَدْعُ عِبَادَ اللَّهِ يَأْتُوا مَدَدَا

١ - برك الغماد : موضع باليمن يضرب به المثل في بعد المسافة

٢ - ابن هشام : السيرة النبوية ج ٢ ص ٦١٥ - العلي -

٣ - صحيح البخاري ج ٥ ص ٩٣

فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ قَدْ تَجَرَّدَا إِنْ سَيْنَمَ خَسَفًا وَجْهَهُ تَرَبَّدَا
 فِي فَيْلَقٍ كَالْبَحْرِ يَجْرِي مُزِيدَا
 إِنْ قُرَيْشًا أَخْلَفُواكَ الْمَوْعِدَا وَنَقَضُوا مِيثَاقَكَ الْمُؤَكَّدَا
 وَجَعَلُوا لِي فِي كَدَاءٍ رَصَدَا وَزَعَمُوا أَنْ لَسْتُ أَدْعُو أَحَدَا
 وَهُمْ أَذِلُّ وَأَقْلُّ عَدَدَا هُمْ بَيَّتُونَا بِالْوَتِيرِ هُجَّدَا
 وَقَتَلُونَا رُكْعًا وَسُجَّدَا (١)

وهذه الصرخة من أبي عمرو وهذا الغضب للحق جعلاً رسول الله صلى الله عليه وسلم يهب وقد دمعت عيناه - لنصرة المسلمين من بني كعب . ويروى أنه صلى الله عليه وسلم نظر إلى سحابة قد بعثها الله تعالى فقال : « والذي بعثني بالحق نبيّاً ، إن هذه السحابة لتستهلُّ بنصر بني كعب » وخرج بمن معه لنصرهم (٢) .

وكانت تلك الأشعار أو تلك الشكوى الشعرية المقدمة من أبي عمرو الشراة الأولى التي دفعت بالمسلمين للتطوع جهاداً في سبيل الله ونصرة دينه فمن الله على المسلمين بالفتح المين لمكة على يد رسوله الأمين محمد صلى الله عليه وسلم .

صبرهم :

ويمثل شعر الفتوحات الإسلامية صبر أولئك المجاهدين وكفاحهم في جهادهم يقاتلون ويُقتلون لا يبالون ببذل النفوس رخيصة في سبيل رفعة راية التوحيد . وهذا سهيل بن عدي الأزدي أحد أولئك المجاهدين المناضلين يسجل تلك المفاخر للمسلمين الأوائل فيقول :

وَصَادَفْنَا الْغَزَاةَ غَدَاةَ سِرْنَا بِجُودِ الْحَيْلِ وَالْأَسَلِ الطَّوَالِ
 أَخَذْنَا الرِّقَّةَ الْبَيْضَاءَ لَمَّا رَأَيْنَا الشَّهْبَ نَلْعَبُ بِالنُّلَالِ
 وَأَزْعِجَتِ الْجَزِيرَةُ بَعْدَ خَفْضِ وَقَدْ كَانَتْ تَخَوَّفُ بِالزَّوَالِ

١ جمهرة اشعار العرب : مصدبين ابني الخطاب - تحقيق علي محمد البجاوي - ج ١ ص ٣٤ وانظر : البدء والقاريخ للإبي زيد البلخي - تحقيق كلتمان هوار ج ٤ ص ٢٣٣ ، وانظر : السيرة ٤ ص ١٠ .
 ٢ - جمهرة اشعار العرب ج ١ ص ٣٥ .

سَنَقْصِدُ رَأْسَ عَيْنٍ بَعْدَ حِينٍ أَجِدُ بِحَمَلَتِي جَيْشَ الضَّلَالِ
وَقَصْدُكَ يَا سُهَيْلُ تَبِيدُ جَيْشًا وَتَقْتُلُ فِي الْبَطَارِقِ لَا تَبَالِي
فَنَحْنُ أُولُو النَّقِيْبَةِ وَالْمَعَالِي وَنَحْنُ الصَّابِرُونَ لِكُلِّ حَالٍ
صَحَابَةُ أَحْمَدٍ خَيْرُ الْمُوَالِي رُقِيَ الْعِلْيَاءُ وَالرُّتَبُ الْعُوَالِي
إِلَى رَبِّ السَّمَاءِ دَنَا عُلُوًّا وَخَاطَبَتْهُ شِفَاهَا بِالْمَقَالِ (١)

وقد سجل المسلمون الأوائل من القرشيين الذين أسلموا بعد صلح الحديبية صوراً رائعة في الصبر على البلاء جهاداً في سبيل الله . فقد كان أولئك المسلمون القرشيون طبقاً للمعاهدة التي أبرمت بين قريش وبين النبي صلى الله عليه وسلم - ردَّهم الرسولُ صلى الله عليه وسلم ، وكان عليهم أن يعودوا إلى قريش وإلى بلادهم غير أنهم فضَّلوا البقاء بعيدين عن المشركين في السَّاحِلِ عن أن يعودوا إلى قريش ، ورفضوا أن تبقى لهم رُفْقَةٌ مع المشركين وجاهدوهم جهاداً طويلاً وشاقاً في ضوء ما يعرف الآن بحرب العصابات غير النظامية ، يُغَيِّرُونَ على قوافل المشركين. وهذا زعيمهم أبو جندل بن سهيل بن عمرو القرشي العامري يسجل تلك الصور الرائعة من الصبر في جهاد الأعداء يقول وهو مع أبي بصير الثقفي :

أَبْلَغُ قُرَيْشًا مِنْ أَبِي جَنْدَلٍ أَنِّي بِذِي الْمَرْوَةِ بِالسَّاحِلِ
فِي مَعَشَرٍ تَخْفِقُ أَيْمَانُهُمْ بِالْبَيْضِ فِيهَا ، وَالْقَنَا الذَّابِلِ
يَأْتُونَ أَنْ تَبْقَى لَهُمْ رُفْقَةٌ مِنْ بَعْدِ إِسْلَامِهِمُ الْوَاصِلِ
أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُمْ مَخْرَجًا وَالْحَقُّ لَا يُغْلَبُ بِالْبَاطِلِ
فَيَسْلَمَ الْمَرْءُ بِإِسْلَامِهِ أَوْ يُقْتَلَ الْمَرْءُ وَلَمْ يَأْتَلِ (٢)

١ - فتوح الشام ج ٢ ص ٩٨
٢ - الاستيعاب ٤-١٦٢٢

وهذا الصبر في الجهاد لا لشيء دنيوي يرجوه المسلم من مال أو جاه أو غير ذلك بل إن المسلم يجاهد ويصبر الصبر كله ليظهر دين الله ورسوله .

ويسجل شعر المسلمين في الغزوات الإسلامية هذه الحقيقة في الجهاد الإسلامي . ويبدو ذلك واضحاً في شعر كعب بن مالك رضي الله عنه الذي يصور فيه هزيمة الأحزاب وفرار فلولهم يوم الخندق يقول كعب :

أَلَا أَبْلَغُ قَرِيشًا أَنْ سَلَعْنَا وَمَا بَيْنَ الْعُرَيْضِ إِلَى الصَّمَادِ
نَوَاضِحُ فِي الْحُرُوبِ مُدْرَبَاتُ وَخُوصُ ثُقُبَتٍ مِنْ عَهْدِ عَادِ
قَصَرْنَا كُلَّ ذِي حُضْرٍ وَطُولِ عَلَى الْغَايَاتِ مُقْتَدِرِ جَوَادِ
أَجِيبُونَا إِلَى مَا نَجْتَدِيكُمْ مِنْ الْقَوْلِ الْمُبِينِ وَالسَّدَادِ
وَلِإِلَّا فَأَصْبِرُوا لِحِلَادِ يَوْمِ لَكُمْ مِنَّا إِلَى شَطْرِ الْمَذَادِ
نُصَبِّحُكُمْ بِكُلِّ أَخِي حُرُوبِ وَكُلِّ مُطَهَّمٍ سَلَسِ الْقِيَادِ
إِذَا قَالَتْ لَنَا النُّذُرُ : اسْتَعْدُوا تَوَكَّلْنَا عَلَى رَبِّ الْعِبَادِ
وَقُلْنَا : لَنْ يُفَرِّجَ مَا لَقِينَا سِوَى ضَرْبِ الْقَوَانِسِ وَالْجِهَادِ
فَلَمْ تَرَ عَصْبَةً فِيمَنْ لَقِينَا مِنْ الْأَقْوَامِ مِنْ قَارِ وَبَادِ
أَشَدَّ بَسَالَةً مِنَّا إِذَا مَا أَرْدَنَاهُ ، وَأَلَيْنَ فِي الْوِدَادِ
لِنُظْهِرَ دِينَكَ اللَّهُمَّ إِنَّا بِكَفِّكَ فَاهِدِنَا سُبُلَ الرَّشَادِ (١)

ويصرخ خالد بن الوليد رضي الله عنه في وجه الكفار الروم الصليبيين بالشام مؤكداً لهم عزم المجاهدين المسلمين باذن الله على تحقيق هزيمة نكراء لحخافل الكفر وأنصارهم من الضالين ، وينادي في نفس الوقت بأن هؤلاء الفتية المؤمنة الصادقة

ليس لها همٌ إلا نصرة دين الله في كل مكان ، وإرضاء الله إله الخلق أجمعين .
وكان خالد رضي الله عنه قد سمع عياض بن غنم يقول :

سَنَحْمِلُ فِي جَمْعِ الثَّلَامِ الْكَوَاذِبِ وَنَقْرِي رُؤُوساً مِنْهُمْ بِالْقَوَاضِبِ
وَنَهْزِمُ جَيْشَ الْكُفْرِ مِنَّا بِهِمَّةٍ تَطُولُ عَلَى أَعْلَى الْجِبَالِ الرُّوَاسِبِ
وَنَنْصُرُ دِينَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدٍ بِفَتَيَانٍ صِدْقٍ مِنْ كِرَامِ الْأَعْرَابِ
فَيَا مَعْشَرَ الْأَصْحَابِ جِدُّوا وَاجْتَدِلُوا وَكُرُّوا عَلَى خَيْلِ كِرَامِ الْمَنَاصِبِ
فَدُونَكُمْ قَصْدَ الصَّلِيبِ وَبَادِرُوا لِنُرْضِي إلهَ الْخَلْقِ مُعْطِي الْمَوَاهِبِ (١)

لقد كان المسلمون يجاهدون كذلك في سبيل نصرة نبي الله محمد صلى الله عليه وسلم ولا يدتخرون وسعاً في سبيل تحقيق هذا الهدف السامي . فهذا حمزة بن عبد المطلب سيد الشهداء - رضي الله عنه يشير إلى هذه الحقيقة منذ الوهلة الأولى لإسلامه وتقلب معتقداته القديمة رأساً على عقب فإذا به يؤمن بالجهاد في سبيل الله لاعلاء كلمته ونصرة رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم وينذر نفسه فداءً لله سبحانه وتعالى في هذه الأبيات :

وَأَحْمَدُ مُصْطَفَى فِينَا مُطَاعٌ فَلَا تَغْشَوْهُ بِالْقَوْلِ الْعَنِيْفِ
فَلَا وَاللَّهِ نُسَلِّمُهُ لِقَوْمٍ وَلَمَّا نَقَضَ فِيهِمُ بِالسَّيْفِ
وَنَتْرَكُ مِنْهُمْ قَتْلَى بِقَاعٍ عَلَيْهَا الطَّيْرُ كَالْوَرْدِ الْعُكُوفِ (٢)

كان المجاهدون من المسلمين يستشعرون القوة والعزة والمنعة فداءً لله ولدينه القويم . وقد آتت أكلها تلك الأحاديث النبوية الشريفة التي كان يعظ فيها رسول البشرية جمعاء صلى الله عليه وسلم المجاهدين المؤمنين وقد تحققت تلك الأهداف التي كان يسعى جاهداً في تحقيقها فإذا بتلك التعاليم والعظات تأخذ طريقها إلى

١ - الوافدي : فتوح الشام ج ٢ ص ١٢٦

٢ - السهيلي : الروض الأنف ج ١ ص ١٨٦

نفوس أولئك المجاهدين المناضلين فيتأثرون بها ويطبقونها عملياً في حياتهم المعيشية .
ومن تلك التعاليم الصحيحة ما يرويه أبو هريرة رضي الله عنه : أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال : « والذي نفسي بيده لا يُكَلِّمُ أَحَدٌ في سبيل الله -
والله أعلمُ بمن يُكَلِّمُ في سبيله - إلاّ جاء يوم القيامة واللّون لونُ الدّمِ ،
والريّحُ ريحُ المسك » (١) .

وقد تمثلت تلك التعاليم السّميحة في شعر سعيد بن عامر رضي الله عنه الذي
أرسله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رأس سبعة آلاف فارس من مكة والطائف
ووادي نخلة وثقيف ومن صدوان وأرض سبأ وحضرموت في فتح سُوريا تحت
قيادة أبى عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه . وفي هذا الشعر يشير الشاعر إلى
صبر المسلمين وقوتهم في جهادهم يقول :

نسيرُ بجيشٍ من رجالٍ أَعِزَّةٍ على كلِّ عَجْجَاجٍ (٢) من الخيلِ يَصْبِرُ
إلى شِبَلِ جَرَّاحٍ ، وصَحْبِ نَبِيّنا لِنَنْصُرَهُ واللهُ لِلدِّينِ يَنْصُرُ
على كلِّ كَفَّارٍ لعينٍ مُعَانِدٍ تَراهُ على الصُّلْبَانِ باللهِ يَكْفُرُ (٣)

وجاهد المسلمون الفرس جهاداً مخلصاً حتى فتحوا المدائن واستولى عليها
سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه . وقد صور الشعر الإسلامي ذلك الجهاد الشريف
تصويراً أميناً فهذا عاصم بن عمر ينشد بعد فتح المدائن :

شَهِدْنَا بِعَوْنِ اللَّهِ أَفْضَلَ مَشْهَدٍ بِأَكْرَمَ مَنْ يَقْوَى عَلَى كُلِّ مَوْكِبٍ
رَكَبْنَا عَلَى الْجُرْدِ الْجِيَادِ سَوَابِحاً بِكُلِّ قَنَاقَةٍ ، بَلْ بِكُلِّ مَقْضَبٍ
وَكُنَّا بِعَوْنِ اللَّهِ لَا نَرْعَوِي إِذَا تَبَادَرَ طَعْنٌ كَالْغَمَامِ الْمَشْطَبِ
وَكَانَ جِهَادٌ قَدْ مَلَكَنَا بِأَمْرِهِ مِنَ الْمَلِكِ مُسْتَعْلَى الْبِنَاءِ الْمُدْهَبِ

١ - صحيح البخارى ج ٤ ص ٢٠٠١٩

٢ - عَجْجَاج : فُجَّيْب

٣ - فتوح الشام للوافدي ج ١ ص ١٦٥

تَرَانَا . وَإِنَّا فِي الْحُرُوبِ أَسْوَدُهَا لَنَا الْعَزَمُ لَا يَخْفَى لِكُلِّ مُجَرَّبٍ
نَجُولُ وَنَحْمِي الرِّمَاحُ شَوَارِعُ وَنَطْعَنُ يَوْمَ الْحَرْبِ كُلَّ مُخَبَّبٍ
قَدِمْنَا عَلَى كِسْرَى بِشِدَّةِ حَرْبِنَا وَمَا حَرْبُنَا فِي النَّائِبَاتِ بِمُخْتَبَبٍ (١)

كان المسلمون يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ويتسابقون في الفوز بالشهادة في جهادهم ويُقتلون صابرين محتسبين مقبلين على الله بعزم وثبات غير مدبرين أخذاً بالبشرى التي بشر بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أوائل المجاهدين في غزوة بدر الكبرى . فقد كان عليه الصلاة والسلام يُحرضُ أصحابه المجاهدين رضوانُ الله تعالى عليهم أجمعين في بدر ويقول لهم : « والذي نفسي بيده ، لا يقاتلهم اليومَ رجلٌ فيقتلَ صابراً ، محتسباً ، مقبلاً غيرَ مُدبرٍ ، إلاَّ أَدْخَلَهُ اللهُ الْجَنَّةَ » (٢)

ومنذ ذلك التاريخ ، بل ومنذ اللحظة الأولى من صدور تلك البشرى من النبي صلى الله عليه وسلم أخذ المجاهدون المسلمون يسجلون أروع الصور في الجهاد الإسلامي وينصرهم اللهُ المرَّةَ تِلْوَ المرَّةِ بحوله وقوته .

وكان أولَ شهيد ومجاهد من المسلمين الذين سمعوا تلك البشرى من الرسول صلى الله عليه وسلم فأدوها على ما أَرَادَ اللهُ ورسوله في الجهاد ، الصحابي الجليل عُمَيْرُ بْنُ الْحُمَامِ رضي الله عنه أحدُ بني سلمة . ويروي ابن اسحاق أن ابن الحمام قال وفي يده تمرات يأكلهن : بَخْ يَخْ ! إِنَّمَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَنْ أَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا أَنْ يَقْتُلَنِي هَؤُلَاءِ . فَقَذَفَ التَّمْرَ مِنْ يَدِهِ وَأَخَذَ السِّيفَ فَقَاتَلَ الْقَوْمَ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ يَقُولُ :

رَكْنُصاً إِلَى اللَّهِ بِغَيْرِ زَادٍ إِلَّا التَّقَى وَعَمَلِ الْمَعَادِ
وَالصَّبْرِ فِي اللَّهِ عَلَى الْجِهَادِ وَكُلُّ زَادٍ عُرْضَةُ النَّفَادِ
غَيْرُ التَّقَى وَالْبِرِّ وَالرَّشَادِ (٣)

١ - التواتر : فتوح الشام ج ٢ ص ٢٠٩

٢ - ابن عبد البر : الاستيعاب ج ٣ ص ١٢١٤

٣ - الاستيعاب ج ٣ ص ١٢١٤

فهذه هي حقيقة الجهاد الإسلامي كما 'وضحته الشريعة الإسلامية في الكتاب والسنة وقد استطاع الشعر الإسلامي أن يرسم صور ذلك الجهاد رسماً دقيقاً وأميناً ، وصور جهاد المسلمين الأوائل في أبهى صورته وعلى حقيقته .

لقد عرف المسلمون أن الجهاد فريضة على كل مسلم وضرية كذلك إن صح هذا التعبير . وينبغي ألا يقلل من قيمته وأهميته . وواجب المسلمين جميعاً والعلماء منهم خاصة أن يردوا أباطيل الأعداء والمخربين من المستشرقين وغيرهم الذين يحاولون جُهدهم التقليل من شأن الجهاد الإسلامي ويحاولون كذلك فصله عن تعاليم الشريعة الإسلامية كما فعل المرتدون من القاديانيين وخاصة ماردهم المرتد في عام ١٣٢١ هـ في رسالته المسماة بـ « تحفة الندوة » وفي كتابه « تزيّيق القلوب » الذي أنكر فيه الجهاد ومنع أتباعه من الضالين أن يعترفوا بشرعيته .

فإلى هؤلاء وأمثالهم من منكري الجهاد يجب أن يوجه علماء المسلمين ومفكروهم جهودهم في الرد عليهم ودحض أباطيلهم وتوضيح الجهاد الإسلامي وشرعيته وفضله وأنه فرض من فرائض الإسلام .

وبالله التوفيق وهو نعم المولى ونعم الوكيل

